جسور الحكمة

بين العرب والصينيين

السيد الربوة

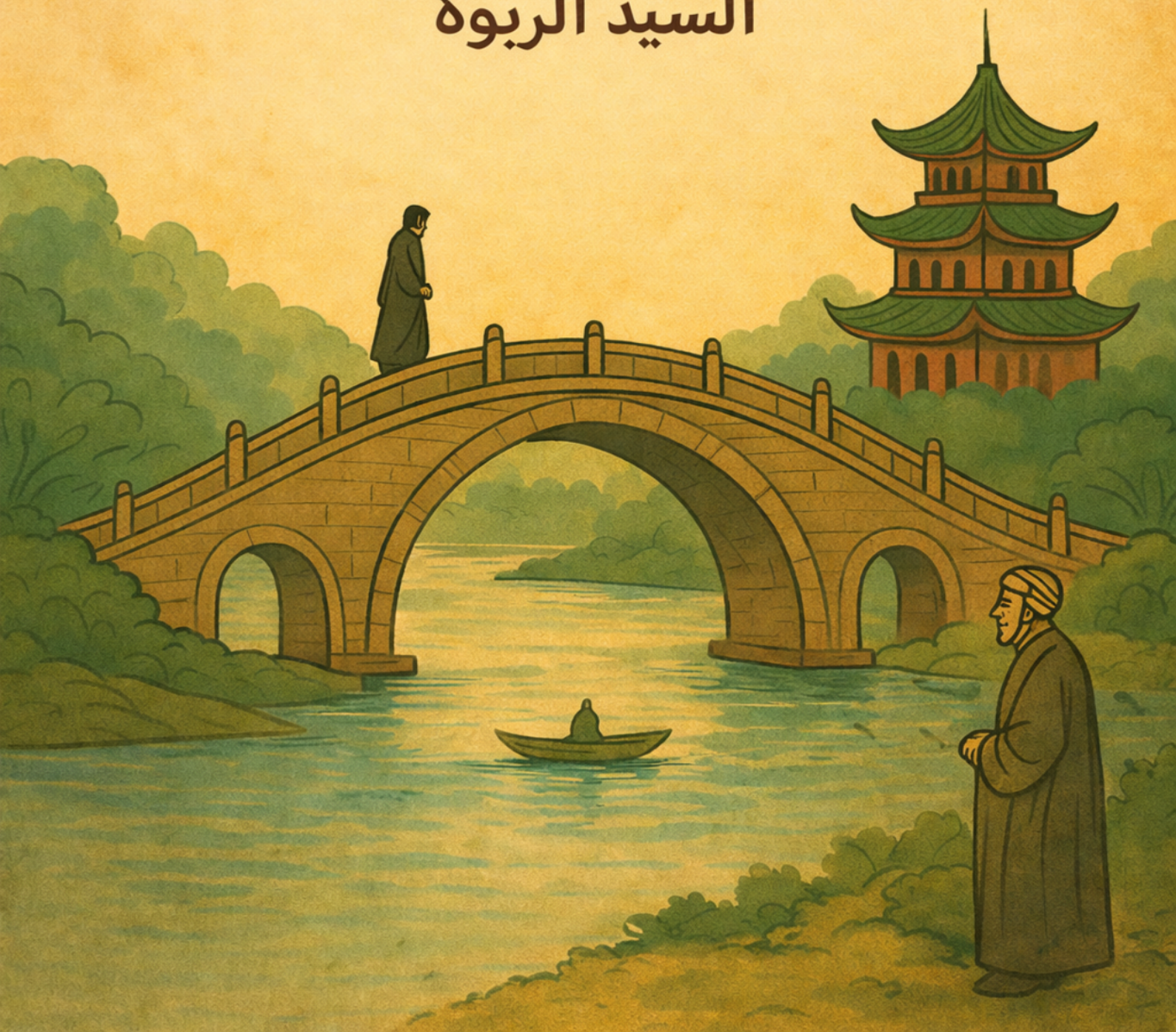

جسور الحكمة

بين العرب و الصينيين

السيد الربوة

الفهرس

كلمة المؤلف

كلمة شكر

المقدمة: تقديم فكرة الكتاب وأهمية التبادل المعرفي.

الفصل الأول

جذور التواصل بين العرب والصينيين

المدخل التاريخي للتواصل

بدايات العلاقات بين العرب والصينيين قبل الإسلام

طريق الحرير: الجسر الأول

وصف طريق الحرير البري والبحري

مفهوم طريق الحرير

المسارات البرية: من تشانغآن إلى قلب العالم

المسارات البحرية: السيادة العربية على محيطات

التجار والرحّالة كوسطاء حضاريين

العلاقات السياسية والدبلوماسية

المراسلات بين الخلفاء والأباطرة

أثر الاستقرار السياسي على التبادل التجاري

التأثيرات الثقافية المبكرة

دخول المنتجات والصناعات الصينية إلى العالم العربي

أبرز الصادرات العربية إلى الصين

تمهيد للتبادل العلمي لاحقًا

الفصل الثاني العلوم والمعرفة

دور الصينيين في اختراع الورق وانتقاله إلى العالم الإسلامي

الترجمة والتبادل المعرفي بين العرب والصينيين

الطب والصيدلة في التبادل المعرفي بين العرب والصينيين

تبادل الوصفات الطبية والأعشاب بين العرب والصينيين

أثر كتب الرازي وابن سينا في الصين

التبادل المعرفي بين العرب والصينيين في مجالي الفلك والكيمياء

الفلك والرياضيات

الكيمياء والصناعات بين العرب والصينيين

اختراع البارود في الصين

الفصل الثالث الفلسفة والفكر

من التجارة إلى الفلسفة والعلوم

التفاعل الفلسفي والفكري بين العرب والصينيين

التصور الكوني في الفكر الصيني

الرؤية العقلية والنفسية في الفلسفة العربية الإسلامية

المقارنة بين الفلسفتين

البُعد الديني والروحي للتواصل العربي–الصيني

التحديات اللغوية ودور الرحّالة

تايوان بين الحضارة الصينية وطريق الحرير العربي

النهضة الصينية وتحديات الركود العربي

الخاتمة

قائمة المراجع

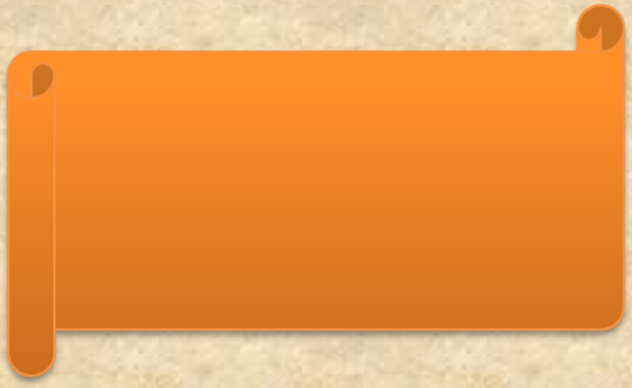

حين أتأمل الحضور الصيني المتنامي في العالم، ينتابني شوقٌ عميق لزيارة هذا البلد العريق، الذي طالما سكن مخيلتي رمزًا للحكمة والنهضة والإرادة الإنسانية. لقد استطاعت الصين أن تغزو الأسواق بامتياز، وأن تفرض نفسها قوةً صناعية وتجارية كبرى. فنجاحها لم يكن صدفة، بل ثمرة رؤيةٍ بعيدة المدى، وعملٍ منظمٍ، وإيمانٍ عميقٍ بقيمة الإنسان والعلم والانضباط. لقد حوّلت الصين كثافتها السكانية إلى طاقة خلاقة جعلت حضورها ملموسًا في كل مجال من مجالات الحياة الحديثة.

ومع ذلك، فإن هذا النجاح الباهر لم يُستثمر بالكامل في الجانب الثقافي والفني. فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة استغلت إحدى الرياضات الصينية الأصيلة — الكونغ فو — لتصنع منها ظاهرة سينمائية عالمية تحقق مليارات الدولارات، فإن الصين نفسها لم توظّف هذه القوة الناعمة كما تستحق. وبرأيي المتواضع، فإن الوقت قد حان لأن تنطلق الصين نحو العالم من زاوية جديدة تُضاف إلى الصناعة والتجارة، وهي زاوية الثقافة والفنون والسينما، خاصة في فضاءات العالم العربي وغيره من الدول التي تبحث اليوم عن بديلٍ حضاري بعيد عن التبعية الغربية والأمريكية.

في هذا الكتاب، حاولتُ أن أستكشف جذور التواصل الحضاري بين العرب والصينيين، وكيف أسهم العلماء العرب في نقل معارفهم في الفلك والطب والجغرافيا والرياضيات إلى الشرق، وكيف أثرت العلوم الصينية — مثل البارود والشاي والتجارة بمختلف أنواعها — في تطوير الفكر العملي العربي.

في تلك الحقبة، لم يكن التفاعل بين الحضارتين صراعًا أو هيمنة، بل حوارًا راقيًا قائمًا على التكامل وتبادل الخبرات. إنها رحلة فكرية عبر جسور الحكمة التي ربطت الشرق بالشرق، لتذكّرنا بأن ما يجمع الشعوب أعظم مما يفرّقها، وأن التبادل الثقافي والمعرفي هو الإرث الأجمل الذي تتركه الأمم في سجل التاريخ.

المؤلف

كلمة شكر

في ظل ما تشهده جمهورية الصين الشعبية اليوم من تقدمٍ متواصل ونهضةٍ شاملة، تتجلى بوضوح ثمار الكفاح المشترك الذي يقوده فخامة الرئيس شي جين بينغ، ومعه مؤسسات الدولة والشعب الصيني، في مسيرة تنموية أصبحت محل تقدير واحترام عالمي.

وانطلاقًا من هذه الروح، أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى معالي السفير المفوض "جو" ، سفير جمهورية الصين الشعبية لدى جمهورية مصر العربية، تقديرًا لدعمه الدائم للصحفيين، وحرصه الواضح على ترسيخ جسور التواصل الفعّال والبنّاء مع الإعلام، من خلال الالتزام بتسهيل العمل الصحفي وتعزيز قنوات الحوار، بما يعكس روح التعاون والمسؤولية التي تتحلى بها السفارة.

كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى جميع العاملين في السفارة على ما يبذلونه من جهود صادقة وتعاون مستمر، أسهم في دعم العمل الإعلامي وتوطيد العلاقة بين الصحافة والمؤسسة الدبلوماسية، بما يخدم المصالح المشتركة ويعزز أواصر الصداقة والتفاهم بين الشعبين المصري والصيني.

المقدمة

لطالما كانت الحضارات العظيمة تُبنى لا على العزلة والانغلاق، بل على التفاعل والتبادل والانفتاح على الآخر. وقد شكّلت الحضارتان العربية والصينية، عبر العصور، قطبين بارزين في شرق العالم القديم، لكلٍّ منهما مقوماته الثقافية، وإنجازاته العلمية، وتقاليده الفكرية. ورغم ما بينهما من بُعد جغرافي واختلاف لغوي وثقافي، إلا أن التاريخ يشهد على مساراتٍ متعددة من التواصل، ليس في التجارة فقط، بل في الفكر والعلم والمعرفة، بما يجعل العلاقة بين العرب والصينيين واحدة من أغنى تجارب التبادل الحضاري في التاريخ الإنساني.

يسعى هذا الكتاب إلى إلقاء الضوء المبسّط على مسار التواصل المعرفي والفكري بين الحضارتين العربية والصينية، في محاولة لفهم أعمق لجسور الحكمة التي امتدت بينهما عبر القرون. إن ما نشهده اليوم من تقدمٍ مستمرٍ في الصين هو امتداد لذلك الإرث الحضاري العميق، الذي تفاعل عبر التاريخ مع الحضارة العربية والإسلامية، وأسهم في صياغة مسيرة الإنسانية نحو الإبداع والتطور.

في الفصول التالية، أجتهد لأن نفكك هذه العلاقة عبر محاور متعددة تشمل العلم، والفلسفة، والقيم، لنرسم خريطة معرفية جديدة تُنير للقارئ معالم هذا التلاقي الكبير. فهو يتتبع من جهةٍ دور العلماء العرب في نقل معارفهم في الفلك والجغرافيا والطب والرياضيات إلى الشرق الأقصى، وكيف أسهموا في ترسيخ روح البحث والعلم، ليكونوا رُسُل معرفة لا تغيب عن ذاكرة التاريخ. ومن جهةٍ أخرى، يستعرض ما قدّمته العلوم والصناعات الصينية من إسهامات أغنت التجربة العربية والإسلامية في مجالات الطب والتجارة والابتكار، مؤكدًا أن التبادل بين الشرقين لم يكن مجرد حركة علمية، بل حوارًا حضاريًا متواصلًا يعكس جوهر السعي الإنساني نحو التقدّم والتفاهم.

لقد مثّل طريق الحرير، بفروعه البرية والبحرية، ليس فقط شريانًا تجاريًا، بل ممرًا ثقافيًا نقل الكتب والمخطوطات والعلماء والأفكار. فإذا كانت المعرفة العلمية قد انتقلت بوضوح من الحضارة الإسلامية إلى الصين في أوج ازدهارها، فإن الفكر الفلسفي الصيني يطرح أسئلة مثيرة للتأمل: هل هناك حضور فلسفي صيني في تراثنا؟ وما الذي يجمع بين الكونفوشيوسية، وهي نظام فلسفي وأخلاقي صيني يركّز على الأخلاق الشخصية والآداب الاجتماعية والحكم الرشيد، وبين الحكمة العملية في الفلسفة اليونانية، التي تقوم على التصرف بحكمة في المواقف الحياتية واختيار الوسائل الصحيحة لتحقيق الغايات النبيلة؟

ليس هذا الكتاب محاولة لإثبات التأثير من جانب واحد، بل دعوة لفهم العلاقة كبنية تفاعلية، فيها أخذٌ وعطاء، وتلاقٍ لا هيمنة فيه. لقد شكّل العلماء العرب والمسلمون مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد قممًا في الفكر الفلسفي والعلمي خلال العصور الوسطى، وأسهموا في بناء جسورٍ من المعرفة بين الشرق والغرب. فقد كان الفارابي رائدًا في الفلسفة والمنطق والموسيقى، وساهمت مؤلفاته في نقل الفكر اليوناني وتطويره ضمن رؤية إنسانية عقلانية ألهمت الباحثين في الشرق الأقصى، ومنهم علماء الصين في مجال الفلسفة الأخلاقية والتنظيم الاجتماعي. أما ابن سينا، فقد جمع بين الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية، فكان كتابه القانون في الطب مرجعًا عالميًا تُرجم إلى الصينية ضمن حركة الترجمة الكبرى في عهد أسرة يوان، مما أسهم في تطوير الطب الصيني وتوسيع آفاقه. في حين مثّل ابن رشد حلقة وصل بين الفكر العربي والعقل الغربي والصيني معًا، إذ دافع عن منهج العقل والتجريب، فكان من رموز الحوار الثقافي الذي ساعد على تبادل الرؤى بين الحضارتين العربية والصينية.

على الجانب الآخر، برز العلماء الصينيون منذ العصور القديمة في تطوير الطب والرياضيات والفلك والهندسة، فكان من روّادهم لي شي تشن، مؤلف موسوعة بن تساو قانغ مو في الطب والأعشاب، ، وتشينغ هاو الذي وضع أسسًا مبكرة لعلم المعادن والكيمياء. وقد تميزت الحضارة الصينية

بقدرتها على الجمع بين الموروث العلمي والإبداع المتجدد، مما مكّنها من الاستمرار في التطور عبر القرون.

ومع قيام جمهورية الصين الشعبية عام 1949 بقيادة الزعيم ماو تسي تونغ، بدأت مرحلة جديدة من بناء الدولة الحديثة؛ حيث أولى ماو اهتمامًا بالتعليم ومحو الأمية والتصنيع الوطني، واضعًا الأسس الأولى للنهوض العلمي والاجتماعي. غير أن النهضة الاقتصادية والعلمية الكبرى التي جعلت من الصين قوة عالمية لم تبدأ إلا في أواخر السبعينيات، مع سياسات الإصلاح والانفتاح التي أطلقها الزعيم دنغ شياو بينغ، والتي فتحت الباب أمام التطور الصناعي والتكنولوجي المتسارع الذي نراه اليوم. وهكذا تستمر الصين، بإرثها العريق وتطلعاتها الحديثة، في رسم ملامح جديدة لحضورها في العالم، تجمع بين الحكمة القديمة وروح العصر.

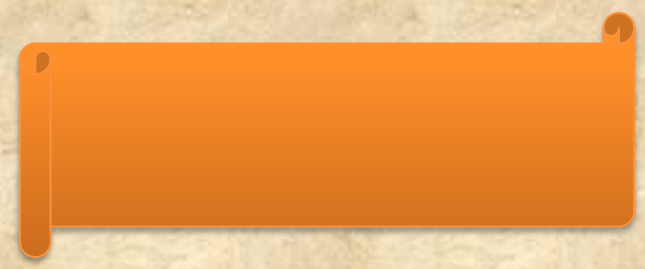

الفصل الأول

جذور التواصل بين العرب والصينيين

المدخل التاريخي للتواصل

لم تكن الصلات بين العرب والصينيين وليدة العصر الإسلامي وحده، بل تعود جذورها إلى قرون أسبق، حين دفعت حركة التجارة والشغف بالمعرفة شعوب الشرق إلى مد جسور التلاقي. فقد عرف التجار العرب بلاد الصين عبر الطرق البحرية التي تمر بالخليج والمحيط الهندي، كما سلكوا طرق القوافل التي تعبر آسيا الوسطى لتصل إلى حواضر الصين. وفي المقابل، وصل التجار الصينيون ببضائعهم النفيسة من حرير وخزف وشاي إلى أسواق العرب وبلاد الشام.

هذا التواصل المبكر لم يكن تجاريًا بحتًا، بل مثّل نافذة أولى للتعارف الثقافي والحضاري، إذ تبادلت الشعوب قصصها وأساطيرها، وبدأت ملامح أولية من الفهم المتبادل تتشكل. ومع بزوغ فجر الإسلام واتساع رقعة الدولة العربية، ازداد عمق العلاقة، فانتقلت من مجرد تبادل للسلع إلى تبادل للأفكار والخبرات، مما جعل من العرب والصينيين شريكين أساسيين في بناء شبكة حضارية واسعة النطاق.

بدايات العلاقات بين العرب والصينيين قبل الإسلام

ترجع جذور التواصل بين العرب والصينيين إلى عصور موغلة في القدم، أي قبل بزوغ الإسلام بقرون طويلة. فقد شكّلت طرق التجارة القديمة، سواء البرية عبر آسيا الوسطى أو البحرية عبر المحيط الهندي، جسورًا أولى للتلاقي بين الطرفين.كان العرب، بحكم موقعهم الجغرافي بين الشرق

والغرب، حلقة وصل طبيعية في نقل البضائع الصينية مثل الحرير والخزف والأحجار الكريمة، التي وجدت طريقها إلى أسواق بلاد الرافدين والشام ومصر[1]. وفي المقابل، نقل العرب إلى الصين سلعًا مطلوبة مثل اللؤلؤ من الخليج العربي، والبخور واللبان من جنوب الجزيرة، والخيول العربية التي حظيت بمكانة كبيرة لدى البلاط الصيني.

لم يقتصر هذا التواصل على التبادل المادي فحسب، بل حمل معه ملامح أولية من التعارف الثقافي. فقد تناقلت القوافل أخبار الشعوب وعاداتها، ودوّنت بعض المدونات الصينية القديمة إشارات إلى شعوب "تا-تشي" أو "دا تشين"[2]، وهو الاسم الذي أطلقه الصينيون على مناطق غربية يعتقد أن بعضها يشير إلى بلاد العرب والروم. ومن هنا يمكن القول إن العلاقة بين العرب والصينيين لم تبدأ من فراغ عند ظهور الإسلام، بل قامت على إرث تاريخي طويل مهد الأرضية لتطورها لاحقًا إلى علاقة حضارية أكثر عمقًا وشمولًا.

طريق الحرير: الجسر الأول

وصف طريق الحرير البري والبحري

إذا كانت الجغرافيا تفصل الشعوب، فإن التجارة والمعرفة تقرّب بينها. وقد شكّل "طريق الحرير"، بمساراته البرية والبحرية، أحد أعظم مشاريع التواصل الإنساني في التاريخ، ليس فقط بوصفه شبكة لتبادل السلع، وإنما كمنظومة حضارية لعبت دورًا محوريًا في نقل الأفكار والعقائد والعلوم والفنون بين أمم الشرق والغرب. كان العرب والصينيون في قلب هذه الشبكة، ليس فقط كمستهلكين للسلع، بل كفاعلين ومبدعين ومؤثّرين.ومن خلال هذا الطريق، عبرت اللغة والدين والعلوم لترتسم صورة حضارية

1.-شافِر، إدوارد هـ. الخوخ الذهبي في سمرقند: دراسة حول السلع الغريبة في عهد أسرة تانغ. مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1963 -

2- كتاب فريدريش هيرث النسخة الإلكترونية المقدمة: فكتور هـ. ماير الصين والشرق الرّوماني أبحاث حول علاقاتهم القديمة والوسطى كما وردت في السجلات الصينية المبكرة 2023، ملحوظة الكتاب كان في السجلات الصينية القديمة. لايبزيغ وميونيخ، 1885.واعيد طباعته بالإنجليزية ورقي والكتروني.

متكاملة، يتضح فيها أن العلاقات العربية الصينية لم تكن عرضية أو مؤقتة، بل جزء من مشروع إنساني طويل الأمد ساهم في تشييد الحضارة العالمية[3] في هذا الفصل، سنكشف عن دور طريق الحرير كجسر حضاري، وسنُبرز كيف أصبح الطريق نفسه "نصًا مفتوحًا" للعلم والثقافة، لا يقل أهمية عن أي مدرسة أو مكتبة.

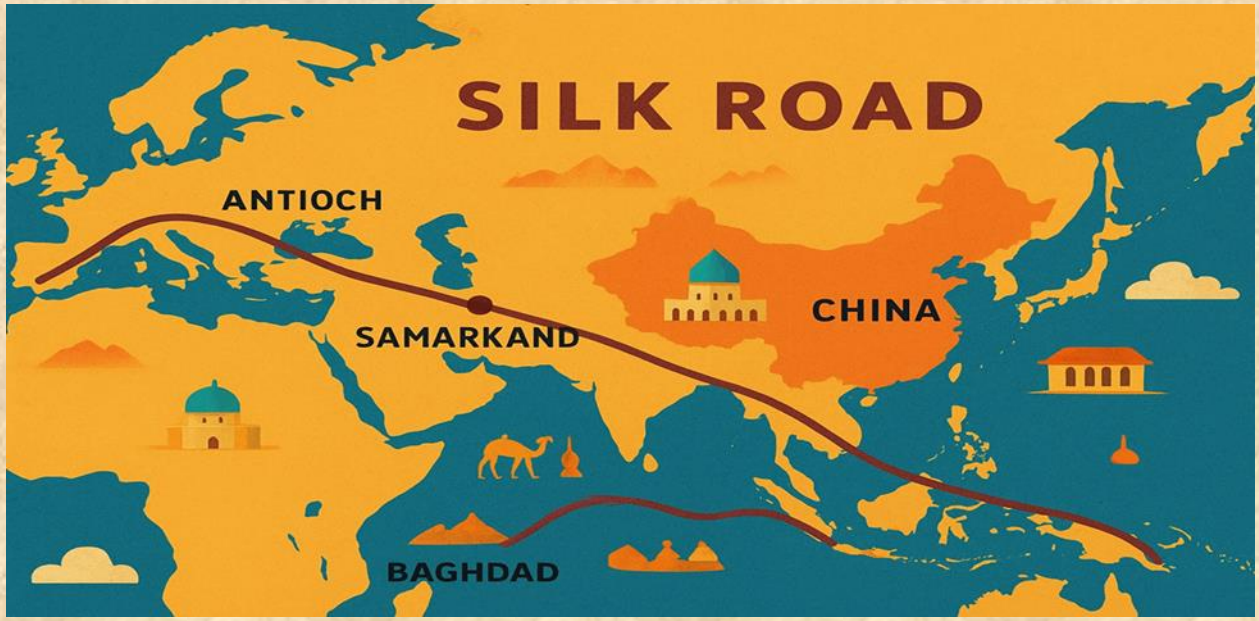

(تصور لطريق الحرير)

مفهوم طريق الحرير

يُطلق اسم "طريق الحرير" على مجموعة من الطرق التجارية البرّية والبحرية التي ربطت الصين ببقية آسيا، والشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وأوروبا، منذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الخامس عشر الميلادي [4]. أجمعت مصادر عدة علي أنه سُمِّي "طريق الحرير (Silk Road)" بهذا الاسم لأن الحرير كان من أبرز السلع التي تصدّرها الصين إلى الغرب، (لكن

4- بيان، يونغنيان، وهوي يو-فونغ –محرران- الصين والعالم العربي: التبادلات والتأثيرات المتبادلة. منشورات وورلد ساينتفك World Scientific، 2020-.
- منشورات جامعة أكسفورد، 2010.[4] -

الطريق لم يكن مخصّصًا للحرير فحسب، بل شمل تجارة واسعة للورق، والخزف، والذهب، والأحجار الكريمة، والبهارات، والمعارف[5])لم يكن طريق الحرير مجرد ممر لتبادل السلع، بل كان في جوهره جسرًا حضاريًا لنقل المعارف والأفكار بين العرب والصينيين. فعلى طول هذا الطريق، سواء عبر القوافل البرية الممتدة في صحارى آسيا الوسطى أو عبر الموانئ البحرية على سواحل المحيط الهندي، تداخلت التجارة بالثقافة.

المسارات البرية: من تشانغآن إلى قلب العالم الإسلامي

تعود بدايات طريق الحرير البري إلى القرن الثاني قبل الميلاد في عهد الإمبراطور هان وو دي من أسرة "هان" الصينية، الذي سعى لتوسيع نفوذ الصين عبر آسيا الوسطى. وكان المبعوث زانغ تشيان هو الرائد الذي مهدت رحلاته الاستكشافية لربط الصين بشعوب الغرب. نقطة الانطلاق: يبدأ المسار الأساسي من تشانغآن (شيان حاليًا)، العاصمة الإمبراطورية للصين، متجهًا غربًا[6] .

الطبيعة الجغرافية الصعبة: كان على القوافل أن تشق طريقها عبر تضاريس قاسية، (من صحارى شاسعة مثل صحراء تكلامكان وصحراء غوبي، إلى سلاسل جبلية شاهقة مثل جبال تيان شان وجبال بامير لم تكن المدن على طول الطريق مجرد محطات استراحة، بل كانت مراكز علمية وثقافية نابضة بالحياة [7]. فبعد عبور كاشغر، بوابة الصين الغربية، تصل القوافل إلى مدن آسيا الوسطى العظيمة مثل سمرقند وبخارى).

التي كانت مراكز للترجمة والرياضيات والفنون. ومن هناك، يمتد الطريق إلى بلاد فارس ثم إلى قلب العالم الإسلامي في بغداد، عاصمة الخلافة العباسية، ومنها يتفرع إلى دمشق وحلب في الشام، ثم القاهرة والإسكندرية في مصر، لتكون البوابة النهائية نحو البحر المتوسط وأوروبا [8].

- سوزان ويتفيلد. الحياة على طول طريق الحرير. منشورات جامعة كاليفورنيا، 1999[5]
- هانسن، فاليري. طريق الحرير: تاريخ جديد. مطبعة جامعة أكسفورد، 2012. [6]
- مرجع سابق [7]
- فرانكوبان، بيتر. طرق الحرير: تاريخ جديد للعالم. دار بلومزبري، 2015. -[8]

المسارات البحرية: السيادة العربية على محيطات الشرق

مع تطور الملاحة الإسلامية، ظهر "طريق الحرير البحري" كشريان حيوي موازٍ للطرق البرية. وقد لعب التجار والملاحون العرب دورًا محوريًا في تنشيط هذه المسارات، بفضل خبرتهم العميقة بالبحار. نقطة الانطلاق: يبدأ المسار من موانئ جنوب الصين الكبرى مثل قوانغتشو (خانفو)، هانغتشو، وتشوانتشو.

تمر السفن عبر بحر الصين الجنوبي ومضيق ملقا الاستراتيجي، لتدخل المحيط الهندي. كانت السفن تتوقف في موانئ شبه القارة الهندية، ثم ترسو في الموانئ العربية المزدهرة مثل صُحار وقلهات في عُمان، وعدن في اليمن، قبل أن تدخل البحر الأحمر لتصل إلى ميناء جدة أو عيذاب في مصر.

كان التجار العرب أساتذة الملاحة في العصور الوسطى. استخدموا سفنهم الشراعية المتطورة (الدهو)، واستفادوا من البوصلة الصينية، وطوروا الخرائط الفلكية، وبرعوا في استغلال الرياح الموسمية لتنظيم رحلات منتظمة وآمنة عبر المحيط الهندي. كانت التجارة هي اللغة المشتركة الأولى التي مهدت الطريق لكل أشكال التبادل الأخرى. وقد بلغ هذا التبادل ذروته في العصر العباسي، حيث أصبحت الخلافة شريكًا تجاريًا وثقافيًا رئيسيًا للصين.

التجار والرحّالة كوسطاء حضاريين

كان للتجار والرحّالة العرب والصينيين دور يتجاوز مجرد تبادل السلع، إذ تحوّلوا إلى وسطاء حضاريين ينقلون معهم أنماط العيش والمعرفة. فقد جاب التجار العرب الموانئ الصينية الكبرى مثل كانتون (قوانغتشو) منذ القرن السابع الميلادي، وأقاموا فيها أحياء خاصة بهم عُرفت في المصادر

الصينية بـ "حي التجار الأجانب"، حيث مارسوا تجارتهم بحرية، وبنوا مساجدهم، واحتفظوا بعاداتهم الاجتماعية والدينية. وكان وجودهم في هذه الموانئ عاملًا رئيسيًا في تدفق السلع الصينية إلى أسواق العالم الإسلامي مثل الحرير والخزف والشاي، مقابل ما جلبوه من اللؤلؤ والبهارات والخيول العربية.

لم يقتصر دور هؤلاء التجار على الاقتصاد، بل أصبحوا وسطاء ثقافيين نقلوا إلى الصين خبرات العرب في الملاحة والفلك، كما عادوا إلى بلادهم بما اكتسبوه من معارف وأساليب جديدة في الزراعة والصناعة. وقد أشارت المدونات الصينية إلى المكانة التي حظي بها العرب لدى السلطات المحلية، التي اعتمدت عليهم في تنظيم حركة التجارة البحرية، بل وعيّنت بعضهم كوكلاء للإشراف على شؤون التجار الأجانب.

وفي الوقت نفسه، لعب الرحّالة العرب مثل سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي دورًا مهمًا في نقل صورة دقيقة عن المجتمع الصيني ونُظمه الاقتصادية والإدارية، فوصفوا المدن والأسواق والعادات، مما وفّر للعالم الإسلامي مادة ثرية عن الشرق الأقصى. وبالمثل، أوفدت الصين بعثات رسمية وتجارية إلى موانئ الخليج العربي والبحر الأحمر، حيث تبادلت الخبرات مع العرب، وعادت محمّلة بما اطلعت عليه من منجزات طبية وفلكية. وهكذا أصبح التاجر والرحّالة جسرًا إنسانيًا ومعرفيًا، مهد لتطور أعمق في التواصل بين الحضارتين.

العلاقات السياسية والدبلوماسية

إلى جانب التجارة والرحلات العلمية، برزت العلاقات السياسية والدبلوماسية كركيزة أساسية في مسيرة التواصل العربي–الصيني. فمنذ القرن السابع الميلادي بدأت البعثات الرسمية تتبادل بين الجانبين، حيث أرسل الخلفاء الراشدون ثم الأمويون والعباسيون وفودًا إلى بلاط أسرة تانغ الصينية محمّلين بالتحف والهدايا، بهدف تعزيز العلاقات والتنسيق التجاري. واستقبلت الصين هذه الوفود بحفاوة كبيرة، وأظهرت المصادر الصينية

تقديرًا خاصًا للعرب لما امتازوا به من مكانة تجارية وسياسية في العالم الإسلامي.

كما أوفدت الصين بدورها مبعوثين إلى عواصم العرب مثل دمشق وبغداد لتعزيز الصلات وتأمين مصالحها التجارية عبر الموانئ العربية والخليج العربي. ولم تكن هذه البعثات ذات طابع اقتصادي فحسب، بل حملت في طياتها دلالات سياسية وحضارية، إذ مثّلت اعترافًا متبادلًا بالمكانة الدولية للطرفين. وقد ساعدت هذه العلاقات الدبلوماسية على ضمان أجواء من الثقة والاستقرار، شجعت التجار والرحّالة والعلماء على التوافد، وأسهمت في جعل طريق الحرير أكثر أمنًا وحيوية، مما عزز حركة التبادل المعرفي والثقافي.

المراسلات بين الخلفاء والأباطرة

أحد أبرز مظاهر التواصل الرسمي بين العرب والصينيين كان تبادل الرسائل بين الخلفاء المسلمين والأباطرة الصينيين، والتي عكست عمق الاهتمام المتبادل ورغبة كل طرف في توطيد العلاقات. فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الخليفة عثمان بن عفان ثم لاحقًا الخلفاء الأمويين والعباسيين أرسلوا رسائل إلى أباطرة الصين، تحمل عبارات الصداقة وتؤكد على رغبة العرب في تعزيز التجارة وضمان أمن القوافل البحرية والبرية. وكانت هذه الرسائل غالبًا مرفقة بهدايا رمزية، تعكس مكانة العرب وقوة دولتهم.

في المقابل، بعث بعض أباطرة أسرة تانغ وأسرة سونغ رسائل رسمية إلى خلفاء المسلمين، مشيدين بما يربط الطرفين من مصالح مشتركة، ومعبرين عن تقديرهم لمكانة العرب كقوة عالمية صاعدة. وقد شكّلت هذه الرسائل وثائق دبلوماسية مهمة، ليس فقط لأنها أسهمت في تسهيل التجارة، بل لأنها أظهرت أيضًا اعترافًا سياسيًا متبادلًا، ورسّخت أسس الاحترام والتعاون بين حضارتين عظيمتين. وهكذا، لم تكن هذه المراسلات مجرد مجاملات بروتوكولية، بل وسيلة عملية لحماية المصالح المشتركة، ومقدمة لمرحلة أعمق من التبادل العلمي والثقافي.

(صورة تعبر عن مظاهر التواصل الرسمي بين العرب والصينيين)

أثر الاستقرار السياسي على التبادل التجاري والمعرفي

كان للاستقرار السياسي الناتج عن العلاقات الدبلوماسية الوثيقة بين العرب والصينيين أثر بالغ في تنشيط حركة التبادل التجاري والمعرفي. فحينما توفرت أجواء من الثقة بين الخلفاء المسلمين والأباطرة الصينيين، أصبح طريق الحرير أكثر أمنًا، سواء في طرقه البرية عبر آسيا الوسطى أو البحرية التي ربطت موانئ الخليج العربي بالموانئ الصينية الكبرى مثل كانتون (غوانغجو). هذا الاستقرار لم يفتح المجال لازدهار التجارة فقط، بل جعل تبادل المعارف والعلوم أكثر سلاسة، حيث رافقت القوافل التجارية كتب ومخطوطات وأدوات علمية، كما انتقلت الأفكار الفلسفية والفلكية والطبية بين الشرق والغرب.

لقد أثبت التاريخ أن الاستقرار السياسي هو شرط أساس لازدهار الحضارة، وأنه بدونه لا يمكن للتجارة أن تزدهر ولا للمعرفة أن تنتقل. وهكذا شكّل الاستقرار العربي–الصيني أرضية خصبة لتلاقي الحضارتين وفتح الباب أمام حركة واسعة من النقل والترجمة والتفاعل الفكري، مما مهد لازدهار العلوم والمعارف المشتركة بينهما.

التأثيرات الثقافية المبكرة

لم يقتصر التواصل العربي–الصيني في بداياته على التجارة والبعثات الرسمية، بل ترك بصمات واضحة في المجال الثقافي منذ وقت مبكر. فقد حمل التجار العرب معهم إلى الموانئ الصينية قصصًا وأساطير ومفردات لغوية دخل بعضها إلى اللهجات المحلية، في حين عادوا من الشرق الأقصى بأمثال وحكم وعادات أثّرت في الحياة اليومية بالمجتمعات العربية. كما انتقلت عبر هذا التفاعل أنماط فنية وزخارف، خاصة في صناعة الأقمشة والخزف، حيث ظهرت التأثيرات الصينية في بعض المنتجات العربية، بينما استلهم الصينيون من الذوق العربي عناصر جمالية جديدة.

كانت هذه التأثيرات الثقافية المبكرة بمثابة مقدمة للتفاعل الأعمق الذي سيظهر لاحقًا في مجالات العلم والفلسفة، إذ وفرت أرضية للتفاهم المتبادل وأثبتت أن الثقافة قادرة على تجاوز الحواجز الجغرافية واللغوية لتغدو وسيلة تواصل فعّالة بين حضارتين عظيمتين.

دخول المنتجات والصناعات الصينية إلى العالم العربي

كان لانتقال المنتجات والصناعات الصينية إلى العالم العربي أثر بالغ في إثراء الحياة الاقتصادية والثقافية. فقد كان الحرير من أوائل السلع التي لاقت رواجًا واسعًا في الأسواق العربية، حيث ارتبط بالفخامة والمكانة الاجتماعية، وأصبح يُستخدم في ملابس الأمراء والخلفاء وكسوة الكعبة المشرفة. ورغم تفوق الصين في إنتاجه، طوّر العرب صناعات نسيجية فاخرة خاصة بهم مثل الديباج والطراز، وظهر تأثير متبادل في الزخارف، حيث دخلت الرموز الصينية – كالتنين – إلى بعض المنسوجات الإسلامية،

بينما استُخدم الخط العربي في منتجات صينية صُنّعت خصيصًا للأسواق الإسلامية.

أما الخزف والبورسلان، فقد حظيا بتقدير كبير في قصور الخلفاء، حتى أصبح البورسلان يُعرف في العالم العربي باسم "الصيني". وقد ألهم البورسلان الأبيض ذو الجودة العالية الحرفيين العرب في سامراء، فابتكروا "الخزف ذي البريق المعدني" الذي جمع بين التقنية الصينية والزخارف العربية الهندسية والخطية.

ويظل الورق أبرز الهدايا الحضارية، إذ غيّر مسار الحضارة الإنسانية بعد أن نقله العرب عن الصينيين في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فأسهم في ازدهار حركة الترجمة وانتشار المكتبات وازدياد الإنتاج العلمي والأدبي في بغداد ودمشق وقرطبة. كذلك وصل الشاي والأدوية العشبية والمعادن الثمينة إلى العرب عبر طريق الحرير، لتفتح آفاقًا جديدة أمام التجار والأطباء والعلماء. ورغم أن بعض هذه السلع كان غريبًا في البداية، مثل الشاي، إلا أنه سرعان ما اندمج في الثقافة العربية جنبًا إلى جنب مع القهوة، بينما فتحت المعادن الثمينة أبوابًا جديدة في مجالات التجارة والاقتصاد.

لم تكن هذه المنتجات مجرد سلع مادية، بل جسورًا ثقافية حملت معها خبرات وتقنيات جديدة سرعان ما طوّعها العرب وأضافوا إليها إبداعاتهم الخاصة، فأسهمت في تشكيل تفاعل حضاري خصب ودفع مسيرة النهضة العلمية والفنية.

أبرز الصادرات العربية إلى الصين

عكست الصادرات العربية إلى الصين تنوع البيئة وغنى الطرق التجارية الممتدة من المحيط الهندي إلى البحر المتوسط. فقد احتل البخور والعطور مكانة خاصة، إذ شكّل اللبان اليمني من أثمن السلع المطلوبة في البلاط الإمبراطوري الصيني لما له من دور في الطقوس الدينية والطبية، إلى جانب المسك والعنبر اللذين ارتبطا بفنون التطيب وصناعة الأدوية.

كما برزت التوابل التي جُمعت من الهند وبلاد الشرق الأقصى لتصل عبر الموانئ الإسلامية، فصار العرب حلقة الوصل في نقلها إلى الصين. ومن

الخليج العربي تدفقت تجارة اللؤلؤ الطبيعي الذي حظي بقيمة عالية في الزينة والترف، في حين جاء العاج عبر الموانئ العربية في شرق أفريقيا ليستخدم في صناعة التحف والأدوات الفاخرة.

ولم تغب الخيول العربية الأصيلة عن تلك القوافل، إذ اشتهرت بصلابتها وجمالها وكانت مطلوبة لدى الصينيين لأغراض الحرب والفروسية. كما أسهمت الصناعات العربية الأخرى مثل الأقمشة الصوفية والقطنية ذات الجودة العالية، والمصنوعات المعدنية الدقيقة من أسلحة وحلي وأوانٍ، في تعزيز مكانة العرب كوسطاء للتجارة العالمية، لتجسد صادراتهم صورة حضارية متشابكة تجمع بين الروح والعطر، والقوة والجمال، والفخامة والترف.

تمهيد للتبادل العلمي لاحقًا

إن دخول الصناعات والمنتجات الصينية إلى العالم العربي لم يكن مجرد حدث اقتصادي، بل كان مقدمة لمرحلة أعمق من التبادل الحضاري. فحينما تعرّف العرب على الورق القادم من الصين، سرعان ما أنشؤوا دورًا لصناعته في بغداد وسمرقند، وهو ما أتاح تدوين المعارف وترجمتها ونشرها على نطاق واسع. وبالمثل، فإن إعجاب العرب بـ البورسلان والخزف الصيني دفعهم إلى تطوير تقنياتهم الخاصة في صناعة الفخار والزجاج، مما فتح الباب أمام تبادل الخبرات في الكيمياء والصناعات الدقيقة. حتى الحرير لم يكن مجرد سلعة فاخرة، بل أصبح مادة للبحث في مجالات الزراعة والصناعات النسيجية.

وهكذا تحوّل التبادل التجاري إلى حافز للبحث والتطوير، ومهّد الطريق أمام انتقال العلوم والفنون، حيث لم يكتف العرب باستهلاك هذه المنتجات، بل سعوا إلى فهم أسرارها وصناعتها، وهو ما أرسى قاعدة صلبة للتبادل العلمي والثقافي الذي سيزدهر في العصور اللاحقة

الفصل الثاني : العلوم والمعرفة

دور الصينيين في اختراع الورق وانتقاله إلى العالم الإسلامي

يُنسب إلى الصينيين الفضل في اختراع الورق الذي غيّر مسار تاريخ المعرفة الإنسانية. ففي سنة 105م ابتكر المسؤول الإمبراطوري تساي لون (Cai Lun)طريقة لصناعته من ألياف نبات التوت، وشباك الصيد البالية، وبقايا القماش، وقدّمها إلى الإمبراطور هان هي .(Han He) تميّز الورق الجديد بخفته ورخص تكلفته وسهولة إنتاجه مقارنة بالوسائط السابقة كالحرير الباهظ أو الخشب والعظام الثقيلة [9]، مما جعله وسيلة مثالية للكتابة وحفظ النصوص. ومع اتساع استخدامه، ازدهرت في الصين حركة تدوين المؤلفات الفلسفية والدينية، خصوصًا النصوص الكونفوشية والبوذية، وترسخت الذاكرة الثقافية الصينية عبر القرون.

انتقل الورق إلى العالم العربي في أعقاب معركة تالاس سنة 751م، حين وقع بعض صنّاع الورق الصينيين في الأسر لدى المسلمين، فنقلوا أسرار هذه الصناعة إلى سمرقند، ثم إلى بغداد التي أصبحت لاحقًا مركزًا عالميًا لإنتاج الورق في عهد الخليفة هارون الرشيد (786–809م). ومن هناك انتشرت صناعته إلى دمشق والقاهرة والأندلس، ليصل في النهاية إلى أوروبا [10]. وبهذا غدا العرب الجسر الذي حمل الورق من الصين إلى بقية العالم .

ان لانتشار الورق أثر بالغ في الحضارة الإسلامية؛ إذ أحدث ثورة معرفية بفضل رخصه وسهولة تصنيعه مقارنة بالبردي والرق. تضاعف إنتاج الكتب

---

10 -وانغ، لي (2018). تاريخ الاختراعات الصينية الكبرى. بكين: دار الشعب للنشر، ص 45–47.

11- حسن، محمد عبد الحميد (2004). تاريخ صناعة الورق وانتشاره بين الشرق والغرب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 63–67-

والمخطوطات، وازدهرت حركة الترجمة والتأليف في بيت الحكمة ببغداد، حيث تُرجمت مؤلفات اليونان والفرس والهنود إلى العربية. كما انتشرت المكتبات العامة والخاصة في بغداد، دمشق، القاهرة، قرطبة، وفاس، حتى صارت الكتب جزءًا من الحياة اليومية للعلماء والطلاب [11].

أدّى توفر الورق إلى تسهيل التعليم ونسخ المصاحف والكتب الدراسية في الفقه واللغة والطب والفلك، ما ساهم في رفع مستوى الثقافة العامة وتشكيل التراث العربي الإسلامي المخطوط، الذي أصبح لاحقًا مصدرًا أساسيًا للمعرفة في أوروبا وأسهم في انطلاقة النهضة الأوروبية.

لقد كان الورق أكثر من مادة للكتابة.فقد مثّل أداة مركزية في حركة الترجمة الكبرى بالعصر العباسي، خصوصًا في عهد الخليفة المأمون (813–833م)، حيث تحوّل بيت الحكمة إلى مركز عالمي للترجمة والبحث. لم تعد هذه النصوص حبيسة نسخ محدودة، بل انتشرت في عشرات النسخ عبر القوافل والمكتبات من بغداد إلى دمشق والأندلس. أسهمت هذه الحركة في إثراء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والفلسفية، ومهّدت لإنتاج أعمال أصيلة مثل مؤلفات الرازي وابن سينا والفارابي والخوارزمي، التي نُقلت لاحقًا إلى اللاتينية وشكّلت أحد أعمدة النهضة الأوروبية [12] .

الترجمة والتبادل المعرفي بين العرب والصينيين

شهدت حركة الترجمة بين العرب والصينيين مراحل متباينة عبر التاريخ، خصوصًا خلال فترة ازدهار طريق الحرير الذي أسس جسورًا للتبادل الثقافي والفكري. فقد انتقلت نصوص في الطب والفلك والفلسفة من الصين إلى العالم الإسلامي، وفي المقابل تُرجمت مؤلفات عربية في الرياضيات والكيمياء والفلسفة إلى الصينية عبر وسطاء فارسيين ووسط آسيويين. وقد عمل المترجمون على تكييف المصطلحات العلمية بما يلائم البيئة الثقافية لكل طرف، فظهرت مفردات عربية مستعارة من الصينية والعكس.

12- أحمد، عبد الله يوسف (2012). الورق وصناعته في الحضارة الإسلامية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 102–108.-
- الحاج، عبد المنعم (2015). بيت الحكمة ودوره في نقل العلوم إلى أوروبا. بيروت: دار الفكر العربي، ص 77–83. [12]

وفي هذا السياق برز دور مراكز الترجمة الكبرى، وعلى رأسها بيت الحكمة في بغداد الذي ازدهر في العصر العباسي تحت رعاية الخليفة المأمون. جمع المركز نخبة من المترجمين مثل حنين بن إسحاق وثابت بن قرة، الذين انكبوا على ترجمة المؤلفات العلمية والفلسفية من اليونانية والفارسية والسريانية، إضافة إلى بعض النصوص التي وصلت عبر طريق الحرير [13]. لم يكن الهدف مجرد الحفظ، بل شمل أيضًا النقد والشرح والإبداع، مما جعل هذه الترجمات حلقة أساسية في التبادل العلمي والمعرفي وأسهمت لاحقًا في النهضة الأوروبية.

الإسطرلاب العربي أداة فلكية دقيقة اخترعها العلماء المسلمون وطوّروها)

الطب والصيدلة في التبادل المعرفي بين العرب والصينيين

شكّل الطب والصيدلة مجالين رئيسيين في حركة الترجمة بين العرب والصينيين.(فقد نقل التجار والرحالة عبر طريق الحرير وصفات طبية صينية

13 - السعدي، كمال الدين (2019). بيت الحكمة: منارة العلم في العصر العباسي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص 54–59.

تعتمد على الأعشاب مثل الجينسنغ والراوند إلى العالم الإسلامي، حيث قام الأطباء العرب بتجريبها وتوثيقها في مؤلفاتهم[14]. ويشير المؤرخون إلى أن ابن سينا في كتابه القانون في الطب والرازي في الحاوي قد ذكروا أعشابًا وأدوية ذات أصول صينية. وفي المقابل. تُرجمت إلى الصينية نصوص عربية في الصيدلة والكيمياء الطبية، مما أتاح للصينيين الاطلاع على طرق تحضير العقاقير وتركيب الأدوية كما طورها العرب[15]. هذا التبادل أسهم في إثراء المعارف الطبية لدى الطرفين، وجعل من الطب والصيدلة جسرًا حضاريًا إلى جانب التجارة والفلسفة.

تبادل الوصفات الطبية والأعشاب بين العرب والصينيين

شكّل تبادل الوصفات الطبية والأعشاب أحد أبرز مظاهر التواصل الحضاري بين العرب والصينيين عبر طريق الحرير،إذ لم يقتصر التبادل بين الجانبين على السلع التجارية، بل امتد إلى المعارف الصحية والعلاجات التقليدية. فقد نقل الرحالة والتجار إلى العالم الإسلامي خبرات الصينيين في الوخز بالإبر بوصفها وسيلة لتخفيف الألم وعلاج بعض الأمراض، وأشار إليها بعض الأطباء العرب في مؤلفاتهم كطريقة علاجية مبتكرة[16]، وإن لم تنتشر على نطاق واسع.

وفي مجال الأعشاب الطبية كان التأثير أعمق وأكثر رسوخًا؛ (إذ انتقلت من الصين إلى العالم الإسلامي أعشابٌ مثل الراوند — المُليّن والمعالج لأمراض المعدة — والجينسنغ — المقوّي العام للجسم — التي سرعان ما دخلت في مصنّفات الأطباء العرب، حيث دمجوها مع أعشابهم المحلية في وصفات علاجية مركّبة أكثر تنوعًا وشمولًا. وفي المقابل، قام العرب بإدخال

---

[14] - لي، تشاوغوانغ (2020). التبادل الطبي بين الصين والعالم الإسلامي في العصور الوسطى. بكين: جامعة بكين للنشر، ص 91–97.

[15] - بول غاليكو، تاريخ الطب عند العرب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.

[16] -وانغ، جياو (2016). التأثير المتبادل بين الطب العربي والطب الصيني التقليدي. بكين: دار العلوم الطبية الصينية، ص 112–118.

أعشابٍ من بيئتهم مثل الحبّة السوداء والحنظل والصبر إلى الصين، فاهتم بها الأطباء الصينيون وضمّنوها وصفاتهم العلاجية[17] .

لم يكن هذا التبادل مجرّد نقلٍ للأعشاب، بل كان تفاعلاً علميًا وثقافيًا شمل طرق التحضير والجرعات وأساليب الدمج بين النباتات المختلفة، ما أسهم في إثراء الصيدلة العالمية وتوسيع دائرة المعرفة الطبية. وهكذا أصبح الطب العشبي جسرًا حيًا للتواصل بين الحكمة الصينية والخبرة العربية، وأسهم في تطوير الممارسات العلاجية لدى الطرفين.

(صورة تعبر عن التجارة بين العرب والصينيين قديماً)

أثر كتب الرازي وابن سينا في الصين

الرازي (865–925م) – رائد الطب التجريبي

يُعد محمد بن زكريا الرازي من أبرز أطباء المسلمين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).جمع بين الطب والكيمياء والفلسفة، وكان أول

17 -الحسيني، أحمد عبد الرحمن (2019). الأعشاب الطبية في التراثين العربي والصيني. القاهرة: مكتبة الآفاق، ص 73–76

من ميّز بين الجدري والحصبة في مؤلفه "الجدري والحصبة"، وأكد على أهمية الملاحظة والتجربة في التشخيص والعلاج[18]

كما وصف الرازي بدقة طرق تحضير الأدوية والعقاقير، وأسهم في تطوير علم الصيدلة بما وصل من مؤلفاته إلى الصين عبر الترجمة في العصور اللاحقة، حيث أثّر في الأطباء المسلمين الصينيين الذين اعتمدوا منهجه في الجمع بين الطب والعقل التجريبي[19]

ابن سينا (980–1037م) – شيخ الأطباء وفيلسوف الشرق

يُعتبر الحسين بن عبد الله بن سينا امتدادًا لمدرسة الرازي العلمية، وقد جمع بين الطب والفلسفة والمنطق والفلك. يُعد كتابه "القانون في الطب" من أشهر المراجع الطبية في التاريخ، وظل يُدرَّس في الجامعات الأوروبية والصينية حتى القرون الحديثة

تناولت (الترجمات الصينية لهذا الكتاب مبادئ التوازن بين الأخلاط الأربعة والتغذية الصحية، مما أسهم في دمج الفكر الطبي الإسلامي مع الطب الصيني التقليدي. كما أشار بعض الباحثين إلى أن "القانون في الطب"وصل إلى الصين في عهد أسرة يوان المغولية)، حين كانت حركة الترجمة مزدهرة بين العلماء العرب والصينيين[20].

حظيت مؤلفات الأطباء العرب، وخاصة الرازي وابن سينا، بمكانة مهمة في الصين خلال القرون الوسطى.فقد تُرجمت أجزاء من كتاب الرازي الحاوي في الطب وكتاب ابن سينا القانون في الطب إلى الصينية عبر وسطاء من الفرس والترك في آسيا الوسطى. وقد أثّرت هذه الكتب في تطوير الطب الصيني من خلال تعريف الأطباء هناك بمناهج التشخيص السريري، وتقسيم الأمراض، واستخدام الأدوية المركبة بدلًا من الاقتصار على العلاجات العشبية الفردية[21]. كما (استلهم الأطباء الصينيون من المنهج العقلي التحليلي لابن سينا في دراسة العلاقة بين الصحة والنظام الغذائي،

---

[18] - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي وصف سريري دقيق لأعراض الجدري والحصبة، مع تحليل لطرق العدوى والعلاج نحو سنة 910م / 297هـ .هناك طباعة لنسخة لبنانية ونسخة انجليزية -

[19] - بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ترجمة عبد الحليم النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، الأجزاء (1–6).

[20] - نيدهام، جوزيف. العلم والحضارة في الصين، المجلد السادس. كامبريدج: جامعة كامبريدج، 1971م.

[21] - ليو، شينغ (2021). التأثير العربي في الطب الصيني خلال العصور الوسطى. بكين: جامعة تسينغهوا للنشر، ص 134–139.

وهو ما وجد صدى في بعض المصنفات الطبية الصينية في عهد أسرتي سونغ ويوان. وقد عُدّ القانون في الطب مرجعًا معتمدًا لعدة قرون، ليس في الصين فقط بل في معظم بلدان آسيا[22]

العلماء الصينيون

مع أنفاس الفكر وروح المعرفة. وبين ثنايا التبادل الحضاري، برز عدد من العلماء الصينيين الذين جسّدوا تلاقي الشرقين العربي والصيني في أبهى صوره.

فقد ترك لي شي تشن (1518–1593م) بصمته الخالدة في عالم الطب من خلال موسوعته العظيمة "بِن تساو قانغ مو" (موسوعة المواد الطبية)، التي لم تكتف بتوثيق تراث الصين الطبي، بل ضمّت إشاراتٍ إلى روايات ومعارف قادمة من بلاد العرب، كقصة «الرجل المشمّع بالعسل»، في دليلٍ على امتداد الأثر العلمي بين الحضارتين حتى بعد أفول مجد طريق الحرير[23] .

وفي الفلك، لمع نجم شِن كُو (1031–1095م)، العالم الموسوعي الذي وصف في كتابه مقالات بركة الأحلام استخدام البوصلة المغناطيسية في الملاحة البحرية، وهي أداة كان لها أثرٌ بالغ في توجيه السفن التي ربطت الموانئ الصينية بالعربية، لتصبح النجوم والبحار لغةً مشتركة للعلماء والتجار معًا[24])

أما تشينغ هاو (1032–1085م) فقد جمع بين الفلسفة والعلم، ووضع أسسًا مبكرة لفهم تحوّل المعادن والعناصر، مؤكّدًا على دور الملاحظة والتجريب في دراسة الطبيعة، في زمنٍ كانت فيه المعادن والعقاقير تنتقل من الأسواق العربية إلى المختبرات الصينية[25]

---

22. - المصد السابق - و علي عبد الله الدفاع، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية. الرياض: جامعة الإمام، 1981
23 - الموسوعة البريطانية – مدخَل لي شي تشن، وويكيبيديا العربية: بن تساو كَانْغ مُو
24 - نيدهام، جوزيف. العلوم والحضارة في الصين، المجلد الرابع، جامعة كامبريدج.
25 - موسوعة تاريخ العلوم والتقنية والطب في الثقافات غير الغربية، دار سبرنغر، 2016م.

التبادل المعرفي بين العرب والصينيين في مجالي الفلك والكيمياء

الفلك والرياضيات

شكّل علم الفلك والرياضيات ركيزة أساسية في التفاعل العلمي بين العرب والصينيين عبر العصور، حيث تبادل العلماء المعارف والأدوات التي أسهمت في تطوير الرصد الفلكي وحساب الزمن. (فقد استفاد العرب من خبرة الصينيين في إعداد جداول الرصد الفلكي وتنظيم التقاويم، كما اطّلعوا على التقنيات الصينية في الساعات المائية والمزاول الشمسية التي وصلت إلى بغداد في العصر العباسي. وفي المقابل، نقل العلماء العرب إلى الصين إنجازاتهم في علم المثلثات وحساب الجبر، وهو ما مكّن الفلكيين الصينيين من تحسين دقة التقاويم وحساب حركة الكواكب[26].

برز في العالم العربي علماء عظام أسهموا في تطوير الأزياج "الجداول الفلكية" التي استُخدمت لتحديد مواقع النجوم وأوقات الصلاة واتجاه القبلة، ومن أبرزهم البتّاني "858–929م" الذي صحح أخطاء بطليموس في حركات الكواكب، وابن يونس "950–1009م" الذي أعدّ جداول دقيقة اعتمدها علماء الشرق والغرب، وسند بن علي "850م" الذي ساهم في تأسيس حساب المثلثات كأداة فلكية دقيقة[27].

أما في الصين،فقد واصل علماء مثل تطوير النماذج الفلكية بالتعاون مع اليسوعيين، متأثرين بالنظريات العربية في حساب الزمن وضبط التقاويم[28].لقد كان هذا التفاعل المتبادل جسرًا علميًا متينًا ربط بين

---

[26]- نيدهام، جوزيف. العلوم والحضارة في الصين، المجلد الثالث. ترجمة عبد الله الخالدي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010، ص 278–290.

[27] - راشد، رشدي. تطور الرياضيات العربية بين الحساب والجبر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 201–212

[28] - سيفن، ناثان. الفلك الصيني والبعثة اليسوعية: منظور تاريخي. بكين: جامعة تسينغهوا، 1995، ص 64–79.

الحضارتين وأسهم في تقدم الزراعة والملاحة والتنجيم، كما مهّد الطريق لاحقًا لنهضة أوروبا العلمية.

الكيمياء والصناعات بين العرب والصينيين

لم يكن التبادل العلمي مقتصرًا على الفلك والرياضيات فحسب، بل امتد إلى الكيمياء والصناعات التطبيقية التي شهدت تطورًا مذهلًا في العالمين العربي والصيني. (فقد وضع العلماء المسلمون أسس الكيمياء التجريبية القائمة على الملاحظة والتجريب، وبرز في هذا المجال جابر بن حيان (721–815م) الذي لُقّب بـ أبي الكيمياء، حيث ابتكر عمليات مثل التقطير والبلورة والتسامي، وصمّم أدوات مثل الإنبيق التي استخدمها لاحقًا الأوروبيون في معاملهم[29]) وقد أسهمت هذه الجهود في تطوير صناعات عملية كـ صناعة العطور، واستخراج الزيوت، وتكرير المعادن والذهب والفضة، ما جعل الكيمياء العربية ركيزة أساسية لنهضة الصناعات الحديثة.

وفي المقابل، برع الصينيون في إنتاج البارود والورق والخزف والأصباغ، وهي إنجازات انتقلت عبر طرق التجارة إلى العالم الإسلامي وأسهمت في إثراء المعرفة التقنية لدى العرب. ومن خلال هذا التفاعل المتبادل بين الكيمياء العربية والصينية، وُضعت اللبنات الأولى لما يُعرف اليوم بـ الكيمياء الصناعية التي أفادت البشرية جمعاء[30]

اختراع البارود في الصين

في المقابل، قدّم الصينيون خبراتهم في إنتاج البارود والخزف إلى العالم الإسلامي. فاختراع البارود في الصين شكّل نقطة تحول في التاريخ العسكري، لكن المسلمين هم من طوّروا استخداماته في المدافع

[29]-صليبا، جورج. العلوم الإسلامية وصنع النهضة الأوروبية. كامبريدج: مطبعةMIT ، 2007، ص 87–103.-

[30]- الحسيني، أحمد عبد الرحمن. جابر بن حيان والكيمياء العربية: قراءة في التراث العلمي الإسلامي. القاهرة: دار النهضة العربية، 2018، ص 55–68.-و. تشانغ، لي هوا. التبادل الصناعي بين الصين والعالم الإسلامي في العصور الوسطى. بكين: الأكاديمية الصينية للعلوم، 2015، ص 93–104.

والقذائف، فكان لذلك أثر بالغ في الحروب العالمية اللاحقة[31]. أما الخزف الصيني فكان من أرقى ما وصل إلى العالم الإسلامي عبر طريق الحرير والرحلات البحرية،خاصة في عهد البحّار الشهير "تشنغ خه" وقد تأثر الصينيون بدورهم بالزخارف والألوان العربية، مثل تقنية صباغة السمالتوم التي أضفت على الخزف الأبيض والأزرق طابعًا جماليًا مميزًا[32].

لم يقتصر التواصل العربي الصيني على العلوم الطبيعية، بل امتد إلى الثقافة واللغة. ومن أبرز مظاهر ذلك ما عُرف بـ الكتابة العربية الصينية أو "شيوئرتشنغ"، التي طورها مسلمو قومية هوي في القرن السادس عشر، حيث استُخدمت الحروف العربية لتمثيل الأصوات الصينية في النصوص الدينية والتعليمية[33]. وقد شكّل هذا المزج بين العربية والصينية نموذجًا فريدًا للتفاعل الحضاري العميق، الذي تجاوز حدود العلم إلى الثقافة والهوية.

لقد أسهم التبادل العلمي والثقافي بين العرب والصينيين في بناء جسورٍ من المعرفة المشتركة، أسست لنشوء حضارة إنسانية متعددة الجذور. ومن الورق إلى الفلك، ومن الطب إلى الخزف والبارود، تداخلت الإبداعات وتكاملت لتؤكد أن النهضة الحقيقية لا تنشأ في عزلة، بل من الحوار بين العقول.

(صورة تعبر عن صناعة البارود)

---

[31].- مرجع سابق - الحسيني، -

[32] - نيدهام، جوزيف. العلوم والحضارة في الصين، المجلد الخامس. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1974، ص 132–140.

[33] - مرجع سابق . ما لي تشينغ. الكتابة العربية الصينية (شيوئرتشنغ). بكين: الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، 1998،

الفصل الثالث: الفلسفة والفكر

من التجارة إلى الفلسفة والعلوم

لم يكن التواصل التجاري والثقافي بين العرب والصينيين مجرد تبادل للسلع أو انتشار للصناعات، بل كان مدخلًا حضاريًا لمرحلة أعمق من التفاعل الإنساني. فمن خلال القوافل والرحلات البحرية انتقلت مع البضائع مخطوطات وأفكار وحِكم، حاملة معها بذورًا للتلاقح الفكري والفلسفي. كما أن انتشار صناعة الورق ساعد على ازدهار حركة الترجمة والتأليف، وهو ما فتح آفاق الفكر العربي الإسلامي على تجارب الأمم الأخرى، ومنها الصين.

وهكذا تحولت التجارة إلى جسر لعبور العلوم والفلسفات، لتلتقي الحكمة العربية الإسلامية بالفكر الصيني العميق، بما يحمله من تعاليم كونفوشية وبوذية وتاوية، في حوار إنساني راقٍ ترك بصماته على صفحات الحضارة العالمية.

التصور الكوني في الفكر الصيني

في الفكر الصيني القديم، خصوصًا في المدرسة التاوية، يُنظر إلى الكون باعتباره نتاج تفاعل قوى متضادة تسعى إلى تحقيق التوازن، وهما "اليين" و"اليانغ". هذه الرؤية تركز على الانسجام الطبيعي ودورة الحياة المستمرة، دون الخوض في تفسير ميتافيزيقي للخلق أو البحث في أصول الوجود، بل تسعى إلى فهم موقع الإنسان داخل هذا النظام الكوني المتوازن

(المعلم الأعظم كونغ فوزي، اسمه تشيو، وكنيته تشونغ ني)

الرؤية العقلية والنفسية في الفلسفة العربية الإسلامية

أما الفلاسفة العرب، مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد، فقد تناولوا قضايا الوجود والروح والعقل في إطار عقلاني يرتبط بالنظام الكوني العام.

رأى الفارابي أن كل موجود ممكن يحتاج إلى سبب أول يفسر وجوده، مؤكدًا مركزية العقل في تفسير الكون[34].

34- الفارابي، الآراء المدنية- جورج طرابيشي، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية.

واعتبر ابن سينا النفس جوهرًا مستقلًا عن الجسد، وهي مصدر الحياة والوعي، ولها طاقة إدراكية تعلو على المادة[35].

أما ابن رشد ففرّق بين الروح الفردية الزائلة والروح الكلية الباقية، مؤكدًا على دور العقل البرهاني في فهم الظواهر الطبيعية[36].

وهكذا قدّمت الفلسفة العربية نموذجًا يجمع بين التفكير العقلي والبحث في قوانين الطبيعة، في حين ركّز الفكر الصيني على الانسجام بين الإنسان والكون.

المقارنة بين الفلسفتين

رغم اتساع طرق التجارة والاتصال بين العالمين العربي والصيني، فإن التواصل الفكري والفلسفي ظل محدودًا مقارنة بالتبادل العلمي والثقافي. ومع ذلك، فإن المقارنة بين الفلسفتين تكشف عن تقاطعات إنسانية عميقة في النظر إلى الكون والإنسان والمعرفة.ؤ ركز الفكر الصيني التقليدي على الأخلاق والنظام الاجتماعي.

وتجسيد الانسجام بين الإنسان والطبيعة كما في تعاليم كونفوشيوس ولاو تسي. فقد دعا كونفوشيوس إلى إقامة مجتمع تسوده الفضيلة واحترام النظام الأسري والاجتماعي، معتبرًا أن استقرار الدولة يبدأ من التزام الفرد بأخلاقه ومسؤولياته. أما لاو تسي، فدعا في كتابه الطاو تي تشينغ إلى العيش وفق مبدأ "الطاو" بوصفه الطريق الطبيعي الذي يحقق الانسجام بين الإنسان والكون[37].

بينما ركز الفكر العربي الإسلامي على دراسة الوجود والروح والعقل ضمن منظومة معرفية عقلانية تسعى إلى فهم قوانين الكون[38] ورغم اختلاف

35- ابن سينا، الشفاء: النفس.

36- ابن رشد، تهافت التهافت

37 - تشانغ، وينغ تسيت. مختارات من الفلسفة الصينية القديمة. ترجمة: عبد الرحمن بدوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، صـ 27–34.

38- جورج طرابيشي، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية.

المنطلقات، فإن كليهما هدف إلى بناء إنسان متوازن يعيش في تناغم مع ذاته والعالم من حوله.

إن التاريخ لم يشهد جدلًا فلسفيًا مباشرًا بين العرب والصينيين بسبب الحواجز اللغوية والثقافية، إذ لم تترجم النصوص الفلسفية الصينية إلى العربية أو العكس بشكل واسع. كما ذكر كثيراً من الباحثين ومع ذلك، شكّل "طريق الحرير" وسيلة غير مباشرة لتبادل المعارف، حيث انتقلت من خلاله الأفكار المتعلقة بالأخلاق والانسجام النفسي، إلى جانب علوم الطب والفلك.

ورغم غياب التأثير المباشر، فإن التفاعل الحضاري عبر الترجمة والتجارة والبعثات الثقافية أسهم في إثراء الرؤية الإنسانية المشتركة.فقد استفاد العرب من الحكمة العملية الصينية في مجالات الإدارة والتنظيم، بينما أعجب الصينيون بالمنهج العقلي والمنطقي للفلاسفة المسلمين، وإن ظل ذلك في حدود محدودة وغير موثقة نصيًا[39].

إن الفكر الصيني ركّز على الانسجام الطبيعي والبعد الأخلاقي، في حين سعى الفكر العربي الإسلامي إلى تفسير الوجود والروح والعقل في ضوء العقل والمنطق. وبالتأكيد لم ينسي الجانب الأخلاقي وبرغم اختلاف الطرق، إلا أن الهدف المشترك كان فهم الإنسان وموقعه في الكون، وهو ما يشكّل أحد أبرز وجوه التكامل بين الحضارتين.

البُعد الديني والروحي للتواصل العربي–الصيني

كان من أعمق أبعاد التواصل بين العرب والصينيين ما يتعلق بالجانب الديني والروحي؛ إذ لم تقتصر حركة القوافل والسفن على حمل البضائع، بل حملت معها أيضًا نور العقيدة وأصوات الدعوة. ومع بدايات القرن السابع الميلادي، وصل الإسلام إلى الصين عبر التجار والبحّارة العرب الذين

[39] - يوسف، حسن. التواصل الحضاري بين العرب والصينيين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012.

استقروا في موانئ مثل قوانغتشو وتشيوانتشو، فأسّسوا جاليات مسلمة صغيرة تحوّلت مع الزمن إلى مجتمعات راسخة[40].

وبنى هؤلاء التجار الأوائل المساجد، التي لم تكن مجرد دور عبادة، بل أيضًا مراكز للثقافة والتلاقي، حيث تعلّم الصينيون اللغة العربية واطّلع العرب على الفنون والعادات المحلية. هذا الامتزاج الروحي أسّس لحوار حضاري طويل الأمد، لم يُفرض بالقوة بل تشكّل عبر المعايشة اليومية، والتعامل التجاري القائم على الثقة والأمانة. وهكذا أصبح الدين، إلى جانب التجارة، جسرًا معنويًا رسّخ قيم التسامح والتعارف، وجعل من الوجود العربي في الصين شاهدًا حيًا على أن طرق الحرير لم تُنشئ فقط تبادلًا اقتصاديًا، بل أسهمت أيضًا في صياغة هوية روحية مشتركة تتقاطع فيها القيم الدينية مع الحياة الاجتماعية.

ووفقًا لتقديرات حديثة و مركز بيو للأبحاث ، يبلغ عدد المسلمين في الصين نحو 17 إلى 25 مليون نسمة، أي ما نسبته نحو 1.5% إلى 2% من إجمالي سكان البلاد[41]. وتتركز هذه الجاليات بشكل رئيسي في شينجيانغ ، حيث يعيش أغلب اليوغور –والكازاخ-وشنغهاي -ونيغشيا -وقانسو -وتشينغها، فضلاً عن وجود مجموعات ملحوظة في يونان -وهينان في شرق الصين[42]. وتبنت الحكومات المختلفة مزيجًا من السماح والمراقبة، منظمةً هذا الوجود الإسلامي ضمن أُطر رسمية مثل الجمعية الإسلامية في الصين. التي تنظم النشاطات الدينية وإدارة المساجد[43]

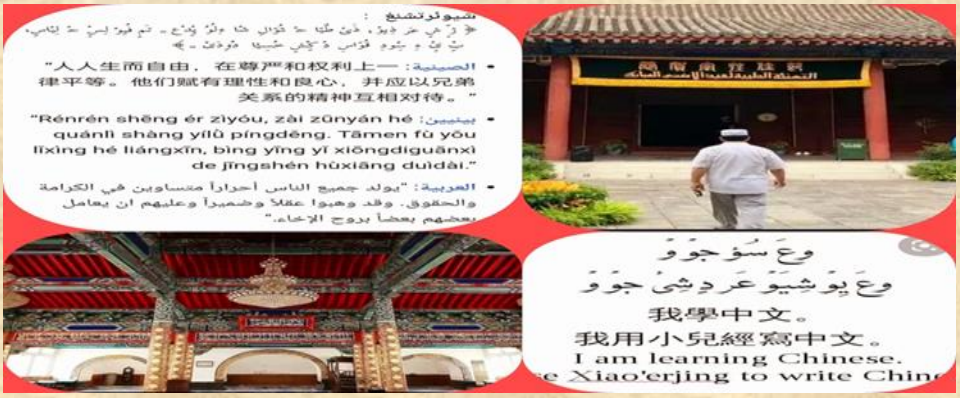

- مرجع سابق- يوسف حسن. [40]
-مركز بيو للأبحاث. قياس الدين في الصين. واشنطن العاصمة: مركز بيو، 2023، ص 14. [41]
-قياس الدين في الصين. واشنطن العاصمة: مركز بيو، 2023، ص 14. -[42]
- ويكيبيديا. الدين في الصين، آخر تعديل عام 2025. [43]

التحديات اللغوية ودور الرحّالة

واجه التواصل المعرفي بين العرب والصينيين تحدياتٍ لغوية وثقافية كبيرة، إذ اختلفت جذور اللغتين اختلافًا جوهريًا؛ فالعربية تقوم على الأبجدية الصوتية، بينما تعتمد الصينية على الرموز التصويرية. (هذا التباين جعل الترجمة المباشرة بين اللغتين شبه مستحيلة، فكانت تتم غالبًا عبر وسطاء من الفرس أو الهنود. وقد أشار ابن النديم في الفهرست إلى وجود كتب صينية وصلت إلى بلاد الإسلام تتناول أخبار الملوك، لكنها لم تلقَ رواجًا واسعًا بسبب صعوبة اللغة وقلة المترجمين[44]

في ظل هذه العقبات، لعب التجار والرحّالة العرب دورًا محوريًا في نقل المعرفة العملية والثقافية.فقد اعتمدوا على التبادل الشفهي لتبادل المعلومات عن الأسواق والعادات والنظم الإدارية في الصين. ومن أبرزهم سليمان التاجر الذي وصف في رحلته تنظيم الأسواق الصينية ونظام القضاء[45] ، وأبو زيد السيرافي الذي أضاف تفاصيل مهمة عن التجار العرب وحوادث مثل حريق كانتون[46]. أما ابن بطوطة،فقد قدّم في القرن الرابع عشر الميلادي مشاهد دقيقة عن المدن الصينية، وأبرز إعجابه بنظامها العمراني والإداري، ووثّق وجود المسلمين هناك وحياتهم اليومية[47] .

ومن الجانب الصيني، قدّم رحّالة مثل وانغ داييوان وتشاو روجوا أوصافًا دقيقة للموانئ الإسلامية ولرحلات الحج، مما أسهم في تكوين صورة متبادلة عن العالم العربي والإسلامي في الوعي الصيني[48] . بعض البحاثين يذكر أن هناك تأثر ما ولوطفيف تجاه بعض المتصوفة العرب بالأفكار الروحية الصينية المستمدة من الطاوية والبوذية في مفاهيم الزهد والتأمل، في حين أفاد العلماء الصينيون من علوم الطب والفلك العربية التي وصلت عبر طريق الحرير.

---

44 - ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1971، ص 311.

45 - سليمان التاجر، رحلة سليمان التاجر إلى الصين والهند، تحقيق: عبدالمجيد عابدين، القاهرة، 1953، ص 42

46 - أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، تحقيق: نبيه أمين فارس، بيروت، 1948، ص 58.

47 - ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط، 1997، ج3، ص 112.

48 - جوزيف نيدهام، العلوم والحضارة في الصين، المجلد الثالث، مطبعة جامعة كامبريدج، 1959، ص 249.

وهكذا، ورغم الحواجز اللغوية والثقافية، ظلّ الرحّالة والمترجمون والسفراء الجسر الإنساني الذي عبرت عليه المعارف والأفكار بين الحضارتين، مما أرسى أسس التواصل الحضاري بين الشرقين العربي والصيني.

تايوان بين الحضارة الصينية وطريق الحرير العربي

تُعدّ تايوان جزءًا من الأراضي الصينية وفق المبدأ المعروف باسم "الصين الواحدة"، وهو المبدأ الذي تُقرّ به الأمم المتحدة ومعظم دول العالم منذ عام 1971م، حين تم نقل مقعد الصين في الأمم المتحدة من حكومة تايبيه إلى جمهورية الصين الشعبية في بكين[49] .ومنذ ذلك الحين، يُعترف بتايوان على نطاق دولي واسع بأنها إقليم تابع للصين، رغم احتفاظها بإدارة سياسية واقتصادية مستقلة نتيجة التطورات التي أعقبت الحرب الأهلية الصينية عام 1949م، عندما انسحب حزب الكومينتانغ إلى الجزيرة وأقام فيها حكومة محلية[50].

ورغم هذا الانفصال الإداري، فإن العلاقات الثقافية والتاريخية واللغوية والاقتصادية بين تايوان والبرّ الصيني لا تزال وثيقة. فالغالبية العظمى من سكان تايوان ينحدرون من أصول صينية من مقاطعتي فوجيان وقوانغدونغ، كما أن اللغة الصينية (الماندرين) هي اللغة الرسمية المشتركة بين الجانبين. وتبقى الصين حتى اليوم الشريك التجاري الأكبر لتايوان، ما يعكس الترابط الاقتصادي العميق بين الجانبين.

هذا الارتباط التاريخي بين البرّ الصيني وتايوان يجعل من الطبيعي أن تكون الجزيرة جزءًا من الفضاء التجاري والثقافي الذي عرفه طريق الحرير البحري. فابتداءً من القرن الثامن الميلادي، نشطت الموانئ الصينية الكبرى مثل قوانغتشو وتشوانتشو وفوجيان كمراكز للتجارة مع العرب والمسلمين الذين جاؤوا بسفنهم عبر المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبي، حاملين معهم البضائع والعقائد والأفكار[51].

---

[49] - الأمم المتحدة – قرار الجمعية العامة رقم 2758 لعام 1971م بشأن تمثيل الصين في الأمم المتحدة

[50] - تايبيه تايمز – "من الحرب الأهلية إلى الحكومتين المنفصلتين. 2019.

[51] - إدوارد شافر – "خوخ سمرقند الذهبي: دراسة في السلع الفاخرة في عهد أسرة تانغ." 1963.

ومن المرجّح أن سواحل تايوان الجنوبية والغربية تأثرت بشكل غير مباشر بتلك الحركة البحرية،بحكم قربها من فوجيان التي كانت الممر التجاري الأهم في التعامل مع العرب. وقد تكون بعض القوافل أو البحارة من سكان الجزيرة شاركوا في تبادل السلع، خصوصًا اللؤلؤ والأخشاب والعطور، التي كانت تُنقل عبر الموانئ الصينية إلى الأسواق العربية[52].

ومع توسّع النفوذ الصيني في بحر الصين الجنوبي خلال عهد أسرة تشينغ (ابتداءً من عام 1683م)، بدأت تايوان تدخل فعليًا ضمن نطاق الإدارة الصينية. في تلك الفترة، انتقل عدد من المسلمين الصينيين من قومية الهوى (Hui) من مقاطعة فوجيان الساحلية إلى الجزيرة طلبًا للتجارة والعمل، حاملين معهم دينهم وتقاليدهم الإسلامية[53] .

ورغم أن عددهم كان محدودًا، فقد شكّل وجودهم البذور الأولى لانتشار الإسلام في تايوان. كان هؤلاء المسلمون يمارسون شعائرهم الدينية في منازلهم الخاصة دون بناء مساجد رسمية، كما حافظوا على بعض العادات الإسلامية مثل تجنّب أكل لحم الخنزير[54] . ومع مرور الزمن، اندمج بعضهم في المجتمع المحلي، لكنهم ظلّوا مرتبطين ثقافيًا ودينيًا بجذورهم في البرّ الصيني، حيث كانت الجاليات الإسلامية قد ازدهرت منذ قرون في مدن مثل قوانغتشو وتشوانتشو[55] .

ومن ثمّ، فإن وصول الإسلام إلى تايوان لم يكن عبر التجار العرب مباشرة، بل جاء امتدادًا طبيعيًا للحضور الإسلامي في الصين، على أيدي المسلمين الصينيين من فوجيان الذين مثّلوا جسرًا حضاريًا وروحيًا بين البرّ الصيني والجزيرة الجديدة، في سياق تاريخي متّصل بالتبادل التجاري والثقافي الذي جمع العرب بالصينيين عبر البحر.

لقد تركت تلك الجذور التاريخية الممتدة عبر طريق الحرير البحري أثرًا عميقًا في تشكيل ملامح العلاقة بين الصين والعالم العربي حتى العصر الحديث. فالتبادل التجاري والثقافي الذي بدأ منذ قرون بين التجار العرب والصينيين

---

[52] - مشروع طرق الحرير – اليونسكو – "موانئ فوجيان وطريق الحرير البحري." 2019.

[53] - الجزيرة – "الإسلام في تايوان: ضائع بين التقاليد." 2014.- تايوان سين – "تجربة المسلمين في تايبيه." 2020.

[54] - تايبيه تايمز – "تايوان عبر الزمن: أربعة قرون من الهجرة الإسلامية." 2018- مجلة معهد ريجاليا-

[55] - اليونسكو – "الهوية العرقية المعاصرة لأحفاد المسلمين

لم يكن مجرد حركة سلع وبضائع، بل كان جسرًا للحوار الحضاري وتلاقح الأفكار بين الشرق الأقصى والعالم الإسلامي. ومع دخول الإسلام إلى بعض المناطق الصينية — ومنها تايوان لاحقًا — أصبح الدين الإسلامي جزءًا من النسيج الثقافي الصيني، وهو ما أوجد قاعدة مشتركة للتفاهم والتقارب بين الجانبين.

وفي العصر الحديث، تسعى الصين عبر مبادرة "الحزام والطريق" إلى إحياء روح طريق الحرير القديم، لتجديد الروابط التجارية والإنسانية مع الدول العربية والإسلامية، مستندةً إلى هذا التاريخ المشترك من التعاون والاحترام المتبادل. ومن ثمّ، فإن قصة تايوان ودخول الإسلام إليها ليست حدثًا منفصلًا، بل حلقة ضمن سلسلة طويلة من التفاعل الحضاري بين العرب والصينيين، امتدت من أعماق التاريخ إلى الحاضر، لتُشكّل أحد أبهى نماذج التواصل بين الشرق والغرب.

(صورةتعبر عن التجارة العربية في جزيرة تايوان الصينية)

النهضة الصينية وتحديات الركود العربي

شهدت الصين خلال العقود الأخيرة تحولًا جذريًا جعلها من أبرز القوى الاقتصادية والعلمية في العالم. فمنذ تطبيق سياسة "الإصلاح والانفتاح" في أواخر السبعينيات، انتقلت الصين من اقتصاد زراعي مغلق إلى دولة صناعية تكنولوجية متقدمة، تجمع بين الإنتاج الضخم والتخطيط الاستراتيجي طويل المدى. وقد استثمرت بكثافة في التعليم، والبحث العلمي، والبنية التحتية، والطاقة النظيفة، لتصبح ثاني أكبر اقتصاد عالمي بعد الولايات المتحدة.

تشير التقديرات إلى أن الصين، بحلول عام 2035، ستتجاوز الولايات المتحدة في بعض المؤشرات الاقتصادية والتكنولوجية، خاصة في مجالات الذكاء الاصطناعي، والتقنيات الخضراء، والفضاء، والابتكار الصناعي. كما تواصل تنفيذ مبادرة "الحزام والطريق" لتوسيع نفوذها التجاري والثقافي عالميًا، مما يعزز مكانتها كقوة تقود التوازنات الدولية الجديدة.

في المقابل، يواجه العالم العربي تحديات تنموية بنيوية، إذ لا يزال معتمدًا بدرجة كبيرة على تصدير المواد الخام واستيراد المنتجات التكنولوجية. ومع أن بعض الدول العربية حققت خطوات في مجالات البنية التحتية والتحول الرقمي، فإن معظم الاقتصادات العربية تفتقر إلى التنويع والإبداع الصناعي، وتعاني من فجوات في التعليم والبحث العلمي.

وإذا استمر هذا النمط دون إصلاحات جذرية في منظومة التعليم، والإدارة، والاقتصاد المعرفي، فمن المتوقع أن يتسع الفارق بين الصين والعرب خلال العقدين القادمين، بحيث تظل الصين في موقع الريادة التكنولوجية والاقتصادية، بينما يبقى العالم العربي في موقع المستهلك لا المنتج، ما لم يُعاد بناء المشروع الحضاري العربي على أسس من العلم والعمل والإبداع

الخاتمة

لقد شكّل التبادل بين العرب والصينيين عبر التاريخ أكثر من مجرد حركة تجارية أو تبادل سلعي؛ فقد كان جسرًا حضاريًا واسعًا ربط بين ضفتي آسيا، وحمل معه أفكارًا وعلومًا وفنونًا أسهمت في صياغة الذاكرة الإنسانية المشتركة. فمن خلال طريق الحرير، وبدعم الاستقرار السياسي والعلاقات الدبلوماسية، انفتحت الحضارتان على بعضهما البعض، وتجاوزتا حدود الجغرافيا واللغة ليؤسسا معًا فضاءً للتفاعل المثمر.

لقد أثبت التاريخ أن الحضارة لا تزدهر بمعزل عن الآخر، بل بالانفتاح عليه والأخذ والعطاء معه. ففي التجارة انتقلت السلع الثمينة مثل الحرير والورق والبورسلان، وفي العلم انتقلت معارف الطب والكيمياء والفلك، بينما فتحت الترجمة بابًا واسعًا للتلاقي الفكري. كما انعكس هذا التفاعل في الفلسفة، حيث توازت الأسئلة الكبرى عند العرب والصينيين حول الكون والوجود والنفس والمدينة الفاضلة، رغم اختلاف السياقات والمرجعيات.

ولا يخفى أن هذا التبادل الحضاري لم يكن مسارًا واحد الاتجاه، بل كان دائرة متكاملة تتغذى باستمرار من التفاعل والتأثير المتبادل. فالعرب أسهموا في تطوير الصناعات الصينية بنقل أساليب الكيمياء والعطور، والصينيون بدورهم أثروا الحياة العلمية والفكرية العربية بمنتجاتهم وتقنياتهم. وهكذا تشكّل تاريخ طويل من التراكمات المعرفية التي تركت بصمة واضحة في الحضارة الإنسانية.

إن استدعاء هذا التاريخ اليوم يذكّرنا بأن الحوار والتعاون بين الحضارات ليس ترفًا ثقافيًا، بل ضرورة حضارية لتحقيق التوازن والاستقرار والابتكار. فكما أسهم طريق الحرير في الماضي في نشر السلم والمعرفة والازدهار، يمكن لمبادرات التعاون الحديثة أن تعيد إحياء هذا الإرث في زمننا الراهن، وتمنح العالم نموذجًا جديدًا للتكامل والتفاهم الإنساني.

وبذلك، يظل الكتاب دعوة مفتوحة للتأمل في دروس التاريخ، واستلهام ما تحقق من جسور الحكمة التي ربطت العرب بالصينيين، من أجل بناء مستقبل يقوم على التبادل العادل، والاعتراف المتبادل، والبحث المشترك عن الحقيقة والمعرفة.

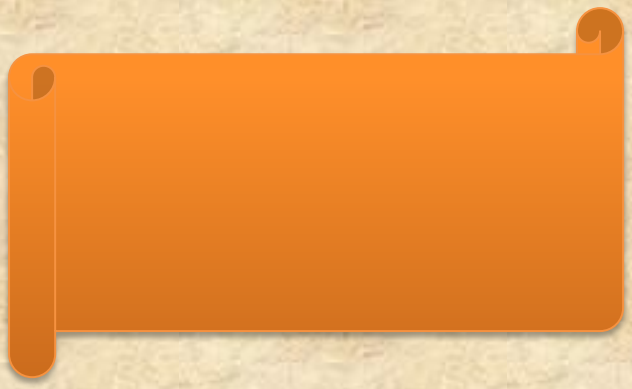

قائمة المراجع

شافِر، إدوارد هـ. الخوخ الذهبي في سمرقند: دراسة حول السلع الغريبة في عهد أسرة تانغ. مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1963 .

كتاب فريدريش هيرث النسخة الإلكترونية المقدمة: فكتور هـ. ماير الصين والشرق الرّوماني أبحاث حول علاقاتهم القديمة والوسطى كما وردت في السجلات الصينية المبكرة 2023، ملحوظة الكتاب كان في السجلات الصينية القديمة. لايبزيغ وميونيخ، 1885.واعيد طباعته بالإنجليزية ورقي والكتروني.

تويتشِت، دينيس سي (محرر). تاريخ كامبريدج للصين، المجلد الثالث: الصين في عصري سوي وتانغ، 589–906 ميلادي. مطبعة جامعة كامبريدج، 1979-.

بيان، يونغنيان، وهوي يو-فونغ –محرران- الصين والعالم العربي: التبادلات والتأثيرات المتبادلة. منشورات وورلد ساينتفِكWorld Scientific ، -2020.

منشورات جامعة أكسفورد، 2010 .

سوزان ويتفيلد. الحياة على طول طريق الحرير. منشورات جامعة كاليفورنيا، 1999

هانسن، فاليري. طريق الحرير: تاريخ جديد. مطبعة جامعة أكسفورد، 2012.

فرانكوبان، بيتر. طرق الحرير: تاريخ جديد للعالم. دار بلومزبري، 2015.

وانغ، لي (2018). تاريخ الاختراعات الصينية الكبرى. بكين: دار الشعب للنشر، ص 45–47.

حسن، محمد عبد الحميد (2004). تاريخ صناعة الورق وانتشاره بين الشرق والغرب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 63–67-

أحمد عبد الله يوسف (2012). الورق وصناعته في الحضارة الإسلامية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 102–108 -.

الحاج عبد المنعم (2015). بيت الحكمة ودوره في نقل العلوم إلى أوروبا. بيروت: دار الفكر العربي، ص 77–83.

السعدي، كمال الدين (2019). بيت الحكمة: منارة العلم في العصر العباسي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص 54–59 .

لي، تشاوغوانغ (2020). التبادل الطبي بين الصين والعالم الإسلامي في العصور الوسطى. بكين: جامعة بكين للنشر، ص 91–97 .

بول غاليكو، تاريخ الطب عند العرب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.

وانغ جياو (2016). التأثير المتبادل بين الطب العربي والطب الصيني التقليدي. بكين: دار العلوم الطبية الصينية، ص 112–118 .

الحسيني أحمد عبد الرحمن (2019). الأعشاب الطبية في التراثين العربي والصيني. القاهرة: مكتبة الآفاق، ص 73–76

ليو، شينغ (2021). التأثير العربي في الطب الصيني خلال العصور الوسطى. بكين: جامعة تسينغهوا للنشر، ص 134–139 .

علي عبد الله الدفاع، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية. الرياض: جامعة الإمام، 1981

نيدهام، جوزيف. العلوم والحضارة في الصين، المجلد الثالث. ترجمة عبد الله الخالدي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010، ص 278–290 .

راشد، رشدي. تطور الرياضيات العربية بين الحساب والجبر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 201–212

سيفن، ناثان. الفلك الصيني والبعثة اليسوعية: منظور تاريخي. بكين: جامعة تسينغهوا، 1995، ص 64–79 .

صليبا جورج. العلوم الإسلامية وصنع النهضة الأوروبية. كامبريدج: مطبعة MIT، 2007، ص 87–103.-

تشانغ، لي هوا. التبادل الصناعي بين الصين والعالم الإسلامي في العصور الوسطى. بكين: الأكاديمية الصينية للعلوم، 2015، ص 93–104.

نيدهام، جوزيف. العلوم والحضارة في الصين، المجلد الخامس. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1974، ص 132–140.

الفارابي، الآراء المدنية- جورج طرابيشي، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية.

ابن سينا، الشفاء النفس .

ابن رشد، تهافت التهافت

تشانغ، وينغ تسيت. مختارات من الفلسفة الصينية القديمة. ترجمة: عبد الرحمن بدوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، صـ 27–34 .

جورج طرابيشي، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية.

يوسف، حسن. التواصل الحضاري بين العرب والصينيين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012 .

مركز بيو للأبحاث. قياس الدين في الصين. واشنطن العاصمة: مركز بيو، 2023، ص 14 .

قياس الدين في الصين. واشنطن العاصمة: مركز بيو، 2023، ص 14 - .

ويكيبيديا. الدين في الصين، آخر تعديل عام 2025 .

ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1971، ص 311.

سليمان التاجر، رحلة سليمان التاجر إلى الصين والهند، تحقيق: عبدالمجيد عابدين، القاهرة، 1953، ص 42

أبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، تحقيق: نبيه أمين فارس، بيروت، 1948، ص 58 .

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط، 1997، ج3، ص 112 .

جوزيف نيدهام، العلوم والحضارة في الصين، المجلد الثالث، مطبعة جامعة كامبريدج، 1959، ص 249.

الأمم المتحدة – قرار الجمعية العامة رقم 2758 لعام 1971م بشأن تمثيل الصين في الأمم المتحدة.

تايبيه تايمز – "من الحرب الأهلية إلى الحكومتين المنفصلتين. 2019.

بي بي سي نيوز – "الصين وتايوان: ما هي سياسة الصين الواحدة؟" 2023.

إدوارد شافر – "خوخ سمرقند الذهبي: دراسة في السلع الفاخرة في عهد أسرة تانغ." 1963.

جورج ف. حوراني – "الملاحة العربية في المحيط الهندي في العصور القديمة والوسطى المبكرة." 1951.

مشروع طرق الحرير – اليونسكو – "موانئ فوجيان وطريق الحرير البحري." 2019.

الجزيرة – "الإسلام في تايوان: ضائع بين التقاليد." 2014.- تايوان سين – "تجربة المسلمين في تايبيه." 2020.

تايبيه تايمز – "تايوان عبر الزمن: أربعة قرون من الهجرة الإسلامية." 2018-
مجلة معهد ريجاليا – "الهجرة والتطور التاريخي للإسلام في تايوان من القرن السابع عشر حتى أوائل القرن الحادي والعشرين".

اليونسكو – "الهوية العرقية المعاصرة لأحفاد المسلمين.
- الموسوعة البريطانية – مدخَل لي شي تشن، وويكيبيديا العربية: بن تساو كَانْغ مُو

علي عبد الله الدفاع، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية. 1981.

نبذة عن المؤلف

السيد الربوة كاتب صحافي وباحث، شغل عددًا من المناصب التحريرية في صحف مصرية وعربية بارزة، وعمل في مجال الإعلام المرئي عبر عدد من القنوات الفضائية، من بينها شبكة راديو وتلفزيون العرب (ART) ، حيث قدّم أعمالًا متنوعة ككاتب ومعدّ برامج، وشارك في كتابة وإعداد عدد من الأفلام الوثائقية.

للربوة إسهامات فكرية وصحافية متعددة، من أبرزها كتاب "الجنرالات والرئاسة" (2014) الذي تناول تحولات المشهد السياسي في أعقاب أحداث 25 يناير، وكتاب " قاهر الموساد" الذي وثّق تجربة البطل المصري أحمد الهوان (جمعة الشوان)، وكتاب "غزة... لغة الإنسانية " الذي عالج القضية الفلسطينية من منظور إنساني، إضافة إلى رواية "الحب بعد الستين."

وفي كتابه "جسور الحكمة بين العرب والصينيين"، يقدّم الكاتب قراءة معمّقة لمسار التفاعل الحضاري بين العالم العربي والصين، متجاوزًا السرد التاريخي التقليدي إلى تفكيك مساحات التلاقي في الفكر والمعرفة والتجربة الإنسانية، مؤكدًا أن الحوار بين الحضارات ليس ترفًا ثقافيًا، بل ضرورة تاريخية تفرضها تحولات الحاضر وأسئلة المستقبل.

هذا الكتاب دعوة مفتوحة لإعادة اكتشاف الحكمة المشتركة بين الشرقين، وبناء جسور جديدة للفهم في عالم تتزايد فيه الحاجة إلى العقل والمعرفة قبل أي وقت مضى.